الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

القارئ:

يقول الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، يقول في كتابه: [**القواعد الحِسَان المتعلقة بتفسير القرآن**]:

القاعدة العاشرة:

في الطرق التي في القرآن لدعوة الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم

يدعوهم إلى الدين الإسلامي، والإيمان بمحمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما يصفهُ مِنْ محاسنَ شرعهِ ودينهِ، وما يذكرهُ مِنْ براهينِ رسالةِ محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليهتدي منْ قصدهُ الحقُ والإنصاف، وتقومُ الحُجَّةُ على المعاند، وهذه أعظمُ طريقٍ يُدْعى بِها جميعُ المخالفينَ لدينِ الإسلام.

فإنَّ محاسنَ دينِ الإسلامِ، ومحاسن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآياتهِ وبراهينه فيها كِفايةٌ تامَّةٌ للدعوة، بقطعِ النظرِ عنْ إبطالِ شُبَههم وما يَحْتجّونَ بهِ، فإنَّ الحقَ إذا اتّضحَ عُلِمَ أنَّ كلَّ ما خالفهُ فهو باطلٌ ضلال.

الشيخ:

هذه القاعدة العاشرة، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**في الطرق التي في القرآن لدعوة الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم**)؛ هذه القاعدة وضعها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ليستخلص من خلالها نهج القرآن وطريقته في الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وإلى توحيده وإلى دينه القويم وصراطه المستقيم.

ومن المعلوم أن الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ هي أنبل وظيفةٍ وأجل عمل، وهي وظيفة الأنبياء أشرف عباد الله عَزَّوَجَلَّ، وهي وظيفةٌ مباركة، ولهذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة فصلت، من الآية:٣٣]، وهذا استفهامٌ المراد به التثبيت أن لا أحد أحسن ممن دعا إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة فصلت، من الآية:٣٣]، أي: لا أحد أحسن قولًا ممن شأنه كذلك.

فالدعوة إلى الله وظيفة مباركة، قد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لأَنْ يهْدِيَ الله بِكَ رجُلًا واحِدًا خَيْرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعم**»، ويقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ**

أُجُورِهِمْ شَيْئًا»، والأحاديث في هذا الباب والنصوص كثيرة جدًا، والذي ينبغي أن يكون عليه من تصدر للدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ أن يدعو على طريقة القرآن ونهج القرآن، وهي طريقة الأنبياء في الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [سورة يوسف، من الآية:١٠٨]، والبصيرة هي العلم، والمراد بالعلم أي: العلم المتلقى من كتاب الله وسنة نبيه -صلوات الله وسلامه عليه-، ولهذا كان متأكدًا على كل معتنٍ بالدعوة إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أن يبني دعوته على نهج القرآن وطريقة القرآن.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في هذه القاعدة العظيمة المباركة يضع منهجًا مباركًا للدعاة إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى مستقى من القرآن من خلال عرضه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى لطريقة القرآن ونهجه في الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملةً مباركة من طريقة القرآن في الدعوة إلى الله ولم يأتي على كل شيء، لكنه أتى على مهمات هذا الأمر، وأبرز ما يكون فيه من جوانب، وبدأ ذلك بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: (**يدعوهم**)؛ أي: القرآن، (**إلى الدين الإسلامي، والإيمان بمحمدٍ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بما يصفهُ مِنْ محاسنَ شرعهِ ودينهِ، وما يذكرهُ مِنْ براهينِ رسالةِ محمدٍ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ هذه طريقة متكررة كثيرًا في القرآن الكريم ألا وهي الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بذكر محاسن الدين الإسلامي، والدين كله محاسن، عقائده أصح العقائد وأقومها، وعباداته أكمل العبادات وأعظمها، وأخلاقه وآدابه أجمل الآداب وأزكاها وأطيبها، فهو دينٌ كله محاسن في عقائده وعباداته وأخلاقه.

وهذه المحاسن لهذا الدين والكمالات والفضائل التي أمتاز بها هذا الدين لو بُينت للناس بيانًا وافيًا وبأسلوبٍ طيب؛ لدخلوا في دين الله تَبَارَكَوَتَعَالَى أفواجًا، لو بُينت للناس محاسن الدين كما ينبغي لدخلوا في دين الله عَزَّوَجَلَّ أفواجًا.

وفي هذا الباب لا أنسى قسمًا بالله عَزَّوَجَلَّ قرأته للإمام الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في أحد كتبه، يقول فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى ما نصه: "والمسلمون اليوم، بل العالم كله في أشد الحاجة إلى بيان دين الله وإظهار محاسنه، وبيان حقيقته، والله لو عرفه الناس اليوم، ولو عرفه العالم على حقيقته لدخلوا فيه أفواجًا".

لكن تقصير الدعاة في بيان هذا الأمر، وقصورهم وضعفهم في إيضاحه وتجليته، وربما اشتغال بعضهم بأمورٍ أخرى لا تنهض بقيام الدعوة وتحققها على أتم حالٍ وأكمل وجه، ولهذا كان من آكد ما ينبغي أن يُعنى به الداعي إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أن يبرز محاسن الدين قبل أن يدخل مع أصحاب النحل الباطلة، والعقائد الزائفة، والملل المنحرفة، قبل أن يدخل معهم في نقاشٍ في أديانهم، وما هم عليه من ضلالٍ وباطل يُبرز لهم حسن هذا الدين وجماله، عقيدةً وعبادةً وخلقًا، وهذا بحد ذاته كافٍ في الإقناع.

ولهذا يقول الشيخ هنا: (**فإنَّ محاسنَ دينِ الإسلامِ**)؛ يقول الشيخ عبد الرحمن بن السعدي، يقول: (**فإنَّ محاسنَ دينِ الإسلامِ، ومحاسن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وآياتِهِ وبراهينه فيها كِفايةٌ تامّةٌ للدعوة، بقطعِ النظرِ عنْ إبطالِ شُبَههم وما يَحْتجّونَ بهِ**)؛ هي بحد ذاتها كافية أن تُبرز للناس واحدًا تلو الآخر، ميزةً تلو ميزة، وحسنةً تلو حسنة، تُبرز وتُبين للناس هذه بحدها بحد ذاتها كافية.

وأعرف رجل في زماننا هذا هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على يديه خلقٌ كثيرٌ من الكفار، يقول لي: كل هؤلاء وعددهم يقارب الألف، يقول: كل هؤلاء دعوتهم فرادى ما أذكر أنني دعوت اثنين، أو ثلاثة، أو أربعة، يقول: دعوتي لهؤلاء فردية، وطريقته في الدعوة هي هذه الطريقة، يحفظ الرجل شيئًا كبيرًا من محاسن الدين الإسلامي في العقيدة والعبادة والأخلاق، يقول: فإذا رأيت أحد هؤلاء جالسًا، وفي الغالب أتخير منهم من يكون مهمومًا مغمومًا عنده مشكلة، يقول: فأجلس إلى جنبه وأسأله: عن أولاده، عن صحته، عن أخباره حتى يرتاح لي قليلًا، ثم أقول له: هل تعرف شيء عن الإسلام؟ يقول لي: لا، أقول له: هل تحب أن أذكر لك شيئًا عن هذا الدين؟ يقول: غالبًا يقول: نعم؛ لأنني جاملته، ولاطفته، وآنسته، وسألت عنه، يقول: جلستي المسبقة معه أدبًا تمنعه أن يرفض، يقول: فغالبًا يقول لي نعم أحب أن أسمع، يقول: فأبدأ أعدد له محاسن الدين الإسلامي، وأحاول أن أتلمس من محاسن الدين ما يتعلق بمشكلته التي استشفيتها من جلستي معه، يقول: غالبًا ربع ساعة، ثلث ساعة، نصف ساعة ويُعلن إسلامه.

فهذا شاهد حال في أن إبراز محاسن الدين الإسلامي للناس كما ينبغي، وإظهارها جليةً للناس كما ينبغي تكون بإذن الله كما أقسم على ذلك الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تكون سببًا لدخولهم في دين الله أفواجًا.

والشيخ عبد الرحمن بن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ له رسالة مطبوعة أنصح خاصةً من له عناية بالدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ ولا سيما دعوة الكفار أن يعتني بها، وهي رسالة مختصرة لكنها كبيرة في حجمها وبابها ومحتوياتها، وعنوانها: [**الدرة المختصرة في بيان محاسن الدين الإسلامي**]، وركَّز فيها جوانب هامة وعظيمة في جانب العقيدة، وجانب العبادة، وجانب الأخلاق، والآداب، والمعاملات، والبيوع، وأتى على مختصراتٍ جامعة في هذا الموضوع ووافية في تقريره، وذكر فيه عشرين مثالًا من محاسن الدين الإسلامي، وإذا قرأ الداعي إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تلك الأمثلة التي ذكرها استطاع أن يُفرع عليها تفريعاتٍ واسعة؛ لأنه أتى بجوامع في بيان محاسن الدين الإسلامي، وأهل العلم كتبوا في هذا كتاباتٍ كثيرة.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في مقدمة هذه الرسالة الدرة المختصرة، يقول: "إن من أكبر الدعوة إلى دين الإسلام شرح ما احتوى عليه من المحاسن التي يقبلها كل صاحب عقلٍ وفطرةٍ سليمة، فلو تصدى للدعوة لهذا الدين رجالٌ يشرحون حقائقه، ويبينون للخلق مصالحه؛ لكان ذلك كافيًا كفايةً تامةً في جذب الخلق إليه، لما يرون من موافقته للمصالح الدينية والدنيوية، وصلاح الناس في الظاهر والباطن"، إلى آخر كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم ذكر كما أشرت عشرين مثالًا، قال في تمامها ملخصًا محتويات الكتاب تلخيصًا جميلًا قال: "دين الإسلام مبنيٌّ على العقائد الصحيحة النافعة، وعلى الأخلاق الكريمة المهذبة، المهذِّبة للأرواح والعقول، وعلى الأعمال المصلحة للأحوال، وعلى البراهين في أصوله وفروعه، وعلى نبذ الوثنيات، والتعلق بالمخلوقين والمخلوقات، وإخلاص الدين لله رب العالمين، وعلى نبذ الخُرافات والخزعبلات المنافية للحس والعقل، وعلى الصلاح المطلق، وعلى دفع كل شرٍّ وفساد، وعلى العدل ورفع الظلم بكل طريق، وعلى الحث على الرقي لأنواع الكمالات".

هذه كلها من محاسن هذا الدين العظيم، فكم يحتاج الناس إلى أن تُبرز هذه المحاسن، وأن تُجلَّى وأن تظهر للناس حتى تكون سببًا بإذن الله جَلَّ وَعَلَا لدخولهم في دين الله أفواجًا، وإذا نظرت في أحوال المهتدين والمعتنقين لهذا الدين العظيم تجد أن من وراء هداياتهم وقوفهم على بعض محاسن الدين، إما في العقيدة، أو في العبادة، أو في الأخلاق، وكم من أناسٍ دخلوا في دين الله عَزَّوَجَلَّ بمعرفتهم أخلاق الإسلام وآدابه؛ إذًا هذا جانبٌ عظيم من جوانب الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إبراز محاسن الدين الإسلامي.

ولهذا ليت بعض المؤسسات الخيرية التي تعمل أو تعتني بهذا الجانب ليتها تعتني بترجمة بعض الكتب التي تُعنى بهذا الأمر: ألا وهو إبراز محاسن الدين الإسلامي.

واقترح كتاب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ [**الدرة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي**]، وأيضًا كتابه الآخر وهو عظيمٌ في هذا الباب، وهو كتاب بعنوان: [**الدين الصحيح يحل جميع المشكلات**]، وبيَّن أن الدين الإسلامي يحل كل المشكلات، المشكلات العقائدية، والمشكلات الأخلاقية، ومشكلات المعاملات والبيوع، مشكلات الفقر، مشكلات المجتمعات، إلى غير ذلك حلها الأمثل موجودٌ في الدين الإسلامي، فترجمة هذين الكتابين ونقلهما إلى اللغات لغات العالم، فيه بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نفعٌ كبير في دخول الناس واعتناقهم لهذا الدين العظيم.

الجانب الآخر الذي نبه عليه هو ذكر محاسن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وبراهين رسالته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا مر معنا فيه قاعدة خاصة عند المصنف تتعلق بطريقة القرآن في تقرير نبوة محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا جانبٌ أيضًا يُستفاد

منه في الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ببيان صدق هذا الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأنه لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [سورة النجم، من الآية:٤]، وإبراز خصائصه ومناقبة وشمائله وفضائله -صلوات الله وسلامه عليه-.

القارئ:

(ويدعوهم بما يُخوّفهم مِنْ أَخَذَاتِ الأمم، وعقوبات الدنيا، وعقوبات الآخرة، وبِما في الأديانِ الباطلة مِنْ أنواعِ الشرور والعواقبِ الخبيثة، ويحذِّرهم مِنْ طاعةِ رؤساءِ الشرِّ، ودُعاةِ النَّار، وأنَّهم لا بدَّ أنْ تتقطّعَ نفوسُهم على طاعتهم حسرات، وأنَّهم يتمنّونَ أنْ لو أطاعوا الرسولَ ولم يُطيعوا السّادة والرؤساء، وأنَّ مودَّتهم وصداقتهم، ستتبدّل بغضاء وعداوة).

الشيخ:

هنا ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الجمل ذكر ثلاثة أمور هي من طريقة القرآن في دعوة الكفار على اختلاف مللهم إلى الدين الحنيف:

الأول: قوله: (**ويدعوهم بما يُخوِّفهم مِنْ أَخَذَاتِ الأمم**)؛ أخذات جمع: أخذه. ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ [سورة الحاقة، من الآية:١٠]، أخذهم أخذه أي: أهلكهم الله، وأحل بهم عقوبته ونقمته، وقوله: ﴿رَابِيَةً﴾؛ أي: زائدة على الحد الذي يكون به هلاكهم، يعني: أرسل لهم أو عليهم عقوبةً مهلكةً لهم آخذةً لهم وهي زائدة عليهم أيضًا، هذا معنى رابية، أي: زائدة في إهلاكها على حد هؤلاء، أو ما يكفي لإهلاكهم.

فالأخذات هي العقوبات التي أحلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالأمم، فمن طريقة القرآن في الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ تذكير المشركين والكفار، وأصحاب الملل الباطلة، والنحل الزائفة في دعوتهم إلى الله بإهلاك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للأمم الظالمة العاتية الباغية المعرضة المعاندة المتكبرة كيف أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أحل بهم العقوبات، وأنزل بهم الأخذات، وأهلكهم بأنواع الهلكات؟! قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:٤٠]، فهذه أنواع من العقوبات أحلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالظالمين، وأنزلها بالجاحدين المعتدين.

ولهذا يأتي في القرآن كثيرًا التذكير بذلك، وأيضًا يأتي في القرآن دعوة المشركين والكفار إلى أن يسيروا في الأرض لينظروا أماكن المعذبين، ومن أهلكهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مثل قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا

كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة النمل، من الآية:٦٩]، وقوله: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة النحل، من الآية:٣٦]، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [سورة غافر، من الآية:٨٢]، قرابة خمسة عشرة آية في القرآن الكريم من هذا القبيل، دعوة هؤلاء للسير في الأرض لينظروا في أحوال أممٍ عتت، وطغت، وتكبرت، وأجرمت، وأعرضت؛ فأهلكهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأنواعٍ من الهلكات، منهم من خُسف به الأرض، منهم من أخذته الصيحة، صوتٌ قويٌ شديدٌ أهلكهم في لحظةٍ واحدة، منهم من أغرقهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إلى غير ذلك من أنواع العقوبات التي ذُكر كثيرٌ منها في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هذه طريقة من طرق القرآن في الدعوة إلى الله، عندما يُبين للشخص الدين، وتُبين له محاسنه، ويُبين له صدق ما جاء به الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثم يأبى ويمتنع، نلجأ في دعوته إلى تخويفه، نقول له: إن استمريت على عنادك وتكبرك وإبائك وامتناعك؛ فعليك أن تتفكر في أحوال أممٍ قبلك عتت عن أمر ربها، وتكبرت وطغت؛ فأهلكهم الله، فاحذر أن يصيبك ما أصابهم، وأن يحل بك ما حل بهم، ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ [سورة الرعد، من الآية:٣١]، هذه أمور مستمرة يحلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالمجرمين وبالمعتدين.

إذًا من الطرق في الدعوة أن يُبين لهؤلاء الكفار المعرضين ما أحله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأممٍ قبلهم هم أشد منهم قوةً، وأشد منهم بطشًا، وأشد منهم تمكينًا في الأرض؛ فأخذهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأهلكهم.

قال: (**ويدعوهم بما يُخوّفهم مِنْ أَخَذَاتِ الأمم، وعقوبات الدنيا، وعقوبات الآخرة**)؛ أيضًا يُبين لهم ما أعده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للكافرين من العقوبات يوم القيامة، وتُذكر لهم النار، يُذكر لهم ما فيها من أهوال، وما فيها نكال، وما فيها من شدائد، تخوف قلوبهم بذلك، وهذه طريقة موجودة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة منه تُذكر النار، ويُذكر أنواع ما فيها من العقوبات وما أعده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأهلها من أنواع العذاب حتى يكون في ذلك زاجرًا لمن كتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هدايته، هذه طريقة.

الطريقة الثانية: قال: (**وبِما في الأديانِ الباطلة مِنْ أنواعِ الشرور، والعواقبِ الخبيثة**)؛ هذه أيضًا طريقة من طرق القرآن في دعوة هؤلاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يُبين لهم ما في أديانهم من شرٍ وفساد، شرٍ عليهم في عقولهم؛ لأن الأديان الباطلة مفسدة للعقول، وبما فيها من شرٍ عليهم في أخلاقهم؛ لأن الأديان الباطلة مفسدة للأخلاق وهادمة لها، أيضًا ببيان ما في الأديان الباطلة من شرٍ عليهم في حياتهم، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً

﴿مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [سورة النحل، من الآية:١١٢]، هذه من العواقب التي يُحصلها هؤلاء في الدنيا عقوبةً لهم على ما كانوا عليه من أديانٍ باطلة، ونحلٍ فاسدة، وانحرافاتٍ وضلالات.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [سورة الروم، من الآية:٤١]، فهذه العقائد تسبب فسادًا في البلدان في المجتمعات، تسبب أمراضًا، فهذه المعاني أيضًا تُبين لهؤلاء وتُشرح لهم ما في أديانهم من الشرور، والأثار الوخيمة، والعواقب السيئة عليهم في الدنيا والآخرة.

أيضًا الأمر الثالث: قال: **(ويحذِّرهم مِنْ طاعةِ رؤساءِ الشرِّ، ودُعاةِ النَّار، وأنَّهم لا بدَّ أنْ تتقطّعَ نفوسُهم على طاعتهم حسرات، وأنّهم يتمنّونَ أنْ لو أطاعوا الرسولَ ولم يُطيعوا السّادة والرؤساء، وأنَّ مودَّتهم وصداقتهم ستتبدّل بغضاء وعداوة)**؛ هذه أيضًا من طريقة القرآن في دعوة هؤلاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في مثل قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٦٥-١٦٦]، أي: أسباب المودة انتهت، ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٦٦-١٦٧]؛ هذه طريقة.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [سورة إبراهيم، من الآية:٢١]؛ أي: لا خلاص لنا ولا مفر من عقوبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًا تبرئ كل هؤلاء الأتباع والمتبوعين كلٌّ من الآخر، فهذه صورة لو بُينت خاصةً للعوام، والجهال، والأتباع، لو بُينت لهم، وقيل لهم: الندامة ستكون يوم القيامة عظيمة، وهؤلاء سيتبرؤون منكم يوم القيامة، وكلٌّ لا ينظر إلا إلى نفسه، لن يغنوا عنكم من الله شيئًا، وتُقرأ عليهم هذه الآيات: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:٦٧-٦٨]، هكذا يقولون يوم القيامة، لكن ماذا يفيدهم؟ فهذه المعاني تُبين للجهال، وللاتباع، وللمضللين، يُبين لهم هذه المعاني حتى يفروا بأنفسهم، وينقذوا أنفسهم

من النار، ماذا يغني عنهم اتباعهم لهؤلاء الأئمة المضلين ودعاةٌ على أبواب جهنم كل من أجابهم قذفوا فيها، فهذه طريقة من طرق القرآن في الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وكل هؤلاء يندمون يوم القيامة، ويعضون أصابع الندم، مثل ما قال الشيخ، يقول: **(وأنَّهم يتمنّونَ أنْ لو أطاعوا الرسولَ ولم يُطيعوا السّادة والرؤساء)**؛ لكن ماذا يفيد الندم؟ ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [سورة الفرقان، من الآية:٢٧-٢٨]، هذا الندم وهذه التمنيات كلها لا تفيدهم ولا تنفعهم شيئًا، فمثل هذه المعاني تُبين للناس، ومن طريقة القرآن بيانها إقامةً للحجة، ومعذرةً إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ونصحًا للعباد، ولعل ذلك أن يكون سببًا لهداية من شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هدايته.

القارئ:

(ويدعوهم أيضًا بنحو ما يدعو المؤمنين بذكرِ آلائه ونعمهِ، وأنَّ المنفردَ بالخلقِ والتدبيرِ والنّعمِ الظاهرة والباطنة هو الذي يجبُ على العبادِ طاعته، وامتثالُ أمرهِ واجتنابُ نَهْيِهِ).

الشيخ:

ثم أشار أيضًا إلى هذه الطريقة في دعوة الكفار إلى دين الإسلام، قال: **(ويدعوهم)**؛ آي القرآن **(أيضًا بنحو ما يدعو المؤمنين بذكرِ آلائه ونعمهِ، وأنَّ المنفردَ بالخلقِ والتدبيرِ والنّعمِ الظاهرة والباطنة هو الذي يجبُ على العبادِ طاعته، وامتثالُ أمرهِ واجتنابُ نَهْيِهِ)**؛ هذه طريقة من طرق القرآن الكريم في دعوة الكفار إلى الإسلام يُذكرون بنعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليهم، ويُذكرون أن من يعبدون من دون الله أيًّا كانوا لا يملكون لهم رزقًا، ولا يملكون عطاءً ولا منعًا، وأن الرزق بيد الله، والنعمة بيد الله، والفضل فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم من خلال ذلك يُبين لهم أنه كيف يليق بكم أن تجعلوا مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شريكًا في العبادة، والحال أن هذا الشريك ليس بيده شيء لا نعمة، ولا فضل، ولا عطاء، ولا منع، فكيف تسوونه بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟! وهذه قسمةٌ لا ترضونها لأنفسهم، وهذه قسمة يُقال لهم: هذه قسمة أنتم لا ترضونها لأنفسكم.

لو فرضنا أن واحدًا منكم -يقال لهم-، يقال لهم: لو فرضنا أن واحدًا منكم له مال، له مالٌ كثير وعنده عبيد وإيماء، هل يرضى أن يجعل ماله بينه وبين عبيده وإيماءه، ويكون هو وإياهم شيئا واح في هذا المال، هل يرضى ذلك لنفسه؟ والمال ماله، ولهذا تأمل قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [سورة النحل، من الآية:٧١]، وهذا

لفت انتباه! يعني كيف هذا الأمر الذي لا ترضونه لأنفسكم رضيتوه لربكم! أنتم لا ترضون أن تجعلوا معكم شريكًا فيما أكرمكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به من مال، ثم تجعلون مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الشركاء مع أنه المتفرد بالنعمة، والمتفرد بالفضل والعطاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ﴾ [سورة النحل، من الآية:٧١]، يعني: ليس أحدٌ منكم يجعل ماله، أو يرد ماله على من عنده من الإيماء والعبيد ويكون هو وإياهم شيئًا واحدًا متساوون في هذا المال لا يرضى ذلك ولا يقبله، ﴿فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٧١ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة النحل، من الآية:٧١-٧٤]، ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [سورة النحل، من الآية:٧٣]، كيف يسوى من كان هذا شأنه بالله الذي بيده الرزق، وبيده النعمة، وبيده الفضل، وبيده العطاء، كيف يسوى به من لا يملك رزقًا، لا يملك عطاءً، لا يملك لنفسه شيئًا من ذلك فضلًا أن يملكه لغيره، بل لا يملك أن يدفع عن نفسه شرًا أو ضرًا فضلًا عن أن يملك شيئًا من ذلك لغيره، لا يملك نفع، ولا عطاء، ولا خفض، ولا رفع، ولا قبض، ولا بسط، فكيف يُسوى بمن بيده أزمة الأمور ومقاليد السماوات والأرض؟!.

إذًا هذه طريقة من طرق القرآن يُذكر الناس بالنعمة: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ [سورة عبس، من الآية:٢٤-٣٢]، من الذي تفضل بهذا كله؟ من الذي أعطى هذا كله؟ هذا فضل الله فكيف يسوى به من ليس بيده شيء من النعمة، وليس بيده شيء من الفضل؟! ﴿وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [سورة الحديد، من الآية:٢٩]، فإذًا هذه طريقة نافعة، طريقة نافعة في الدعوة إلى الله تذكير الناس بالنعم، نعمة البدن، نعمة المال، نعمة الصحة، إلى غير ذلك من نعمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على عبادة.

ولهذا أقرأ في سورة النحل، وعرفنا أن أهل العلم يسمونها سورة النعم عدد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيها نعمه على عبادة، ثم قال في تمامها: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾ [سورة النحل، من الآية:٨١]، فإتمام النعم على العباد هذا بابٌ لهم يهتدون من خلاله إلى إسلام الوجه لله، وإقامة التوحيد، وإخلاص الدين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

القارئ:

(ويدعوهم أيضًا بشرحِ ما في أديانهم الباطلة، وما احتوتْ عليهِ مِنَ القبحِ، والمقارنة بينها وبينَ دينِ الإسلام، ليتبيّنَ ويتّضحَ ما يجبُ إيثارهُ، وما يتعيّنُ اختياره).

الشيخ:

ثم ذكر أيضًا هذه الطريقة في دعوة الكفار إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وإلى دينه قال: (**يدعوهم أيضًا بشرحِ ما في أديانهم الباطلة**)؛ أي: يُبين له ما في دينه من باطل وضلال، وتوضح له الصورة التي هي مغيبة عنه وليست ظاهرة له، فيُبين له ما في دينه من باطل، فهذه أيضًا وسيلة من وسائل إقناع هؤلاء للدخول في هذا الدين، وهذه طريقة موجودة في القرآن الكريم تبين ما في دين هؤلاء من باطل، ومن جهة أخرى أن يقارن ذلك بالإسلام حتى يظهر لهؤلاء جليًا الأمر، مثل قول إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعوته قومه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات، من الآية:٩٥-٩٦]، هذه طريقة من أنفع ما يكون، ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾؛ يعني: شيء أنت بيدك أنت تنحته، تعبده ولا تخلص العبادة للذي خلقك وخلق أعمالك؟! ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، شيءٌ تنحته بيدك تعبده ولا تخلص العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۝١٢٥ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الصافات، من الآية:١٢٥-١٢٦]، ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:١٩١-١٩٢]، هذه كلها تُبين لهؤلاء ينفع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها من شاء أن ينفعه من عباده، يُبين لهم قبح ما هم عليه من عباده، وفساد ما هم عليه من عقيدة، وفي المقابل يُبين لهم حسن هذا الدين، وجماله وكماله في عقائده وعباداته وأخلاقه.

وهذه الصورة إذا اتضحت وبُينت للمشرك، إذا بُين له قبح ما هو عليه من عبادة ربما نفرت نفسه من الشرك، وهذا فيه صور كثيرة، صور كثيرة أن يُبين للمشرك قبح تعلقه بغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأي طريقة كانت.

ومن الطرق التي فعلت ونفع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها قصة معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن جبل وهما من صغار الصحابة، كانت طريقتهم مع هؤلاء يأخذون هذه المنحوتات التي تُعبد ويفعلون بها أمور، إما أن يضع عليها عذرة، أو يضع عليها قاذورات، أو يضع عليها أوساخ، بحيث إذا جاء شخصٌ ليعبدها يراها بهذه الصورة المزرية حتى يتفكر يقول: إذا كانت لا تملك لنفسها نفعًا أو دفعًا كيف تملك لي؟ ومن ذلك ما فعله معاذ بن عمرو بن الجموح مع والده، والده كان عنده في البيت وصنم منحوت وكان يقصده ويعبده، فجاء ابنه إلى هذا

الصنم وطلاه بالعذرة ونكسه على رأسه، فجاء والده ورأى معبوده على هذه الصفة فأخذه وغسله ونظفه وطيبه، ثم وضعه في مكانه ورجع يعبده، ففعل هذا مرة ثانية فأيضًا قام بتنظيفه ورجع إلى عبادته، ثم جاء عمرو بن الجموح بسيف ووضعه عند الصنم، وقال: إن كنت إلهٌ صادق فدافع عن نفسك، دافع عن نفسك فجاء ابنه وأخذ الصنم وقرنه بكلبٍ ميت وربطه بحبلٍ ودلاه في بئر، ثم جاء وأخذ يبحث عنه وإذا بالصنم مدلى في البئر مقرون بكلب ميت، فعافته نفسه من تلك اللحظة، وعرف أن ما كان عليه ضلالٌ وباطل، ورجع إلى عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

آخر من هؤلاء جاء من مكانٍ بعيد يقصد معبودًا من هذه المعبودات فلما وصل إليه وجد فوق رأسه ثعلب يبول، والبول يصب من فوق رأس الصنم إلى أسفل قدميه، فرأى هذا المعبود بهذه الصفة، وقال: "ربٌّ يبول الثعلبان برأسه؟! لقد هان من بالت عليه الثعالب".

وكان بنو حنيفة عندهم صنم صنعوه من الحلوى، وأخذوا مدةً من الزمان يعبدونه، ثم يومًا من الأيام جاعوا فاضطروا إلى أكله، فتندر الناس بهم قالوا: أكلت بنو حنيفة ربها، مدةً طويلة يعبدونه، ثم جاعوا واضطروا إلى أكله فأكلوه فأصبح الناس يتندرون ويقولون: "أكلت بنو حنيفة ربها"، وهذا مثله كثير.

من ذلك أن طائفة من هؤلاء كانوا في سفر ومعهم صنم يعبدونه، وكانوا في الطريق ففقدوه، فنادى بهم منادٍ، قال: يا قوم التمسوا ربكم فإنا قد فقدناه، ابحثوا عن ربكم ضاع، يا قوم التمسوا ربكم فإنا قد فقدناه، يقول: فتفرقنا في الأودية نبحث عن ربنا الضائع، يقول: فبينما نحن نبحث فإذا بمنادٍ ينادي يا قوم إنا وجدنا ربكم أو شبهه، يقول: ففرحنا ورجعنا إلى عبادته!

هذه عقول في غاية السفول والانحطاط، فلما تُشرح هذه المعاني وتُبين ويُبين قبح عبادة هذه الأصنام؛ ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [سورة الصافات، من الآية:١٢٥]، أتدعون صنمًا لا يملك شيئًا، ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [سورة الصافات، من الآية:١٢٥]، لما تُبين هذه المعاني وتُشرح للناس بطريقة واضحة وبينة هذه من الطرق التي ينفع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها لهداية من كتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هدايته لهذا الدين.

قال: **(ويدعوهم أيضًا بشرحِ ما في أديانهم الباطلة وما احتوتْ عليهِ مِنَ القبحِ والمقارنة بينها وبينَ دينِ الإسلام)**؛ أيضًا من الأمثلة في بيان فساد تلك العبادات وهي مما جاء ذكره في القرآن، قوله سبحانه في أواخر الحج: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ

ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [سورة الحج، من الآية:٧٣-٧٤]، هذا مما يُبين به بطلان ما هم عليه من ضلال، يُقال لهم ذباب وهو من أتفه الحيوان وأخسه وأحقره لا تستطيع أصنامكم أن تخلقه، بل أمرٌ دون ذلك لو أن ذبابًا أخذ شيئًا مما هو على الصنم وطار به لا يستطيع أن يستنقذه منه، ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾، يعني: الذباب والصنم، أو أنتم والأصنام ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝٧٣ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾، فمثل هذه المقارنات فيها بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هداية لمن كتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هدايته، ولهذا يأتي كثيرًا في القرآن ذكر هذه الطريقة في الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أيضًا مما يُلحق بهذا إزالة الشبهة التي تعلق بأذهان بعض الكافرين عن الإسلام مما الإسلام براءٌ منه، يعني: أحيانًا يعلق في أذهان بعض الكافرين شيئًا، أو صورةً عن الإسلام، والإسلام براءٌ من ذلك، ويكون السبب أحد أمرين:

- إما جهلٌ في الناقلين، يعني: جهلٌ فيمن نقل لهم الإسلام بتلك الصورة.
- أو في فسادٍ في بعض المنتحلين للإسلام، فأحيانًا يُنقل للكفار أشياء تُفعل على أنها من الإسلام، وأنها هي من الدين، والدين براء من ذلك، لكن يُقال لهم: هذا هو الإسلام.

مثل الدروشة التي يفعلها بعض الطرقية، والخرافات والخزعبلات التي يمارسونها، هذه تُصور وتُنقل للكفار على أنها الإسلام، فيرون صورةً هزيلة، وعملًا منكرًا مشينًا تأباه نفوسهم؛ فلا يقبلون على هذه الخزعبلات، أو هذه الخرافات.

وأحيانًا يُنقل لهم أشياء بسبب جهل الناقل، ينقل لهم أمرًا على أنه من الدين والدين ليس كذلك، بل الدين براءٌ من ذلك، ولهذا إزالة الشبهة التي تعلق في أذهان الكفار عن الإسلام -والإسلام براءٌ من ذلك- يكون قد يكون سببًا للهداية.

ومما أذكر في هذا المقام قصة حصلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يقول: دخل علي جماعة من نفر من أهل الكتاب من النصارى، يقول: دخل علي نفر من النصارى، وقالوا لي: ديننا أحسن من دينكم، وقالوا لي: ديننا -يعني النصرانية- أحسن من دينكم الإسلام؛ لأنكم أنتم تدعون وتعبدون السيدة نفيسة، وتعبدون السيد الحسين، هكذا يقولون، ونحن نعبد السيدة مريم والمسيح، ونحن وإياكم متفقون على أن مريم والمسيح أفضل من الحسين ومن نفيسة، فديننا أفضل من دينكم، يقول: فأخذت أبين له أن هذا الذي تذكر ليس هو الإسلام، الإسلام لا يوجد فيه عبادة غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا السيدة نفيسة، ولا الحسين، ولا علي، ولا أي أحد،

الإسلام عبادة لله الواحد القهار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الدعاء، والطلب، والذبح، والرجاء، والنذر، هذا كله لمن؟ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:١٦٢]؛ فالعبادة كلها لله، يقول: فأخذت أبين له أن هذا الذي تذكر ليس هو دين الإسلام، وأن دين الإسلام هو إخلاص الدين لله، وأخذت أشرح له ذلك، يقول: فخرجوا مني وهم يقولون: دينكم أفضل من ديننا ومن دينهم؛ لأنه نُقل لهم أن الإسلام دعوة للمقبورين، وتعلق بالأنداد والشركاء إما فلان أو علان أو غير ذلك، ظنوا أن هذا هو الإسلام بسبب فساد في الناقلين، وانحراف الناقلين.

فإذا أزيلت هذه الشبهات التي تعلق أحيانًا بأذهان بعض الكافرين، وبُين لهم الإسلام على صورته الحقيقية كما هي في كتاب الله، وكما هي في سنة نبيه محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يكون ذلك بإذن الله سببًا لهداية من شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكتب هدايته.

القارئ:

(ويدعوهم بالتي هي أحسن، فإذا وصلتْ بهم الحالُ إلى العنادِ والمُكابرةِ الظاهرة توعَّدهم بالعقوباتِ الصوارم، وبيَّنَ للناسِ طريقتهم التي كانوا عليها، وأنَّهم لمْ يخالفوا الدينَ جَهْلًا وضلالًا، أو لقيامِ شُبهةٍ أوجبتْ لهم التَّوقُّف، وإنّما ذلكَ جُحودٌ ومكابرةٌ وعِناد، ويُبيِّنُ معَ ذلكَ الأسباب التي منعتهم مَنْ مُتابعة الهُدى، وأنَّها رياساتٌ وأغراضٌ نفسية، وأنَّهم لمّا آثروا الباطلَ على الحق طبعَ على قُلوبِهم وختِمَ عليها، وسدَّ عليهم طريقُ الهدى عقوبةً لهم على إعراضِهم، وتولِّيهم للشيطان، وتَخلّيهم عن وِلايةِ الرحمن، وأنَّه ولَّاهُم ما تولَّوْا لأنفسهم.

وهذه المعاني الجزيلة مبسوطةٌ في القرآنِ في مواضعَ كثيرة، فتأمَّل وتدبّر القرآن تجِدْهَا واضحةً جليَّة، والله أعلم).

الشيخ:

ثم ختم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى ببيان طريقة من طرق القرآن وهي تُسلك مع الجاحد المعاند الذي بُين له الحق، وأُقيمت عليه الحُجة، وشُرحت له الدلائل والبراهين، فأبى إلا عنادًا واستكبارًا، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [سورة النمل، من الآية:١٤]، إذا وصل إلى هذه الدرجة يُسلك معه طريقة أخرى:

أولًا: يُبدأ معه بالتي هي أحسن بشرح الدين، إيضاحه، بيان محاسنه، يُفصل في أدلته وبراهينه وحججه، يُتنقل معه في هذا خطوةٌ خطوة، ثم بعد ذلك إن أبى وعاند واستكبر يُبين حاله، ويكشف أمره للناس حتى يكونوا من أمره على حذر، وحتى أيضًا يكون فيه عبرةٌ وعظة للمتعظين والمعتبرين.

ولهذا يقول الشيخ: (**فإذا وصلتْ بهم الحالُ إلى العنادِ والمُكابرةِ الظاهرة توعّدهم بالعقوباتِ الصوارم**). ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود، من الآية:١٠٢]، فهذه العقوبات الصوارم تأتي مرحلة أخيرة بعد إقامة الحجة، بعد النذارة، بعد البشارة، بعد الترغيب والترهيب، بعد بيان الدين وإقامة الحجج، بعد ذلك تأتي هذه المرحلة.

قال: (**توعَّدهم بالعقوباتِ الصوارم وبيَّنَ للناسِ طريقتهم التي كانوا عليها، وأنَّهم لمْ يخالفوا الدينَ جَهْلًا وضلالًا**)؛ يُقال للناس هؤلاء ليسوا جهال، وليسوا ضلال لا يعرفون الحق، بل يعرفونه معرفة واضحة بينة، لكنهم أهل عناد، إما معاند لأجل المال، أو معاند من أجل الزعامة والرئاسة، أو غير ذلك من الأغراض النفسية التي تصرف بعض الناس عن قبول الحق والانصياع له.

قال: (**وإنَّما ذلكَ جُحودٌ ومكابرةٌ وعِناد، ويُبيِّنُ معَ ذلكَ الأسباب التي منعتهم مَنْ مُتابعة الهُدى وأنَّها رياساتٌ وأغراضٌ نفسية**)؛ تجده يرفض الحق مع أنه اتضح له تمامًا رغبةً في عدم ترك دين الآباء والأجداد، أو يرفض الحق رغبةً في المحافظة على الزعامة والرئاسة، أو يرفض الحق رغبةً في كسب المال، وأكل أموال الناس بالباطل.

وأذكر أن أحد الدعاة إلى الله يقول: كنت مرةً في رحلة في الطائرة وكان إلى جنبي شخصٌ من كبار أهل الضلال، والمروجين لطرقٍ باطلةٍ ضالةٍ منحرفة، يقول: كان جنبي في الطائرة، وأخذت أتحدث معه، وقلت له: أنت لا تعرفني وأنا لا أعرفك، وسنفترق لا يعرف أي منا الآخر، أنا أريد أن أسألك: هذه الأشياء التي تفعلها وتمارسها، هل أنت مقتنع مائة بالمائة أنها حق؟ أنت مقتنع مائة بالمائة أنها حق؟ وأن فعلًا هذا دين الله الذي خلق الخلق لأجله وأوجدهم للقيام به؟ قال: لا، لست مقتنع، قال: لماذا لا؟ قال: لو تركت هذا الأمر ضاعت مني كل هذه الأشياء، الرئاسات، الأموال، العلو على الناس، يقول: كل هذه تذهب.

فبعض الناس يمنع من قبول الحق ليس عدم قناعته بالحق، ولكن رغبةً في الرئاسة، أو في الزعامة، مثل ما قال الله عن فرعون وأتباعه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا﴾ [سورة النمل، من الآية:١٤]، جحده ليس عن عدم معرفة، وليس عن ضلال، بل هو يعرف وفي قرارة نفسه مستيقن أن دين موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هو الدين الحق، لكن

ظلمًا وعلوًا امتنع من قبوله: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:١٠٢]، أنت تعرف في قرارة نفسك أن هذا هو دين الحق.

قال: (**وأنَّهم لمَّا آثروا الباطلَ على الحق طبعَ على قُلوبِهم وختِمَ عليها، وسدَّ عليهم طريقُ الهدى عقوبةً لهم على إعراضِهم**). ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [سورة الصف، من الآية:٥].

(**وتولِّيهم للشيطان، وتَخلّيهم مِنْ وِلايةِ الرحمن، وأنَّه ولَّاهُم ما تولَّوْا لأنفسهم**)؛ فهذه من طرائق القرآن في بيان، أو في الدعوة إلى دعوة الكفار إلى دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهذه جمل أو كما يقال رؤوس أقلام، أما بسطها وأفرادها والأمثلة عليها فهي كثيرة جدًا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

ولهذا قال: (**وهذه المعاني الجزيلة مبسوطةٌ في القرآنِ في مواضعَ كثيرة، فتأمَّل وتدبَّر القرآن تجِدْهَا واضحةً جليَّة، والله أعلم**)؛ أعيد أيضًا ما نبهت عليه أكثر من مرة وهو أن مثل هذه الطرق تُقرأ مرات وتُفهم، ثم أثناء قراءة المسلم لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ يحاول أن يعتني بضبط هذه الأمثلة، ومن خلال هذه التأصيلات والتقعيدات النافعة التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

ونكتفي بهذا القدر، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.